فبدا لنا ابن سيده، من هذا النص معجبًا بنفسه، يتتبع سقطات غيره من اللغويين. «فإنا نجدهم لا يبينون ما انقلبت فيه الألف عن الياء مما انقلبت الواو فيه عن الياء ولا يحدّون الموضع الذي انقلاب الألف فيه عن الياء أكثر من انقلابها عن الواو مع عكس ذلك... وكذلك لا ينبهون على ما يسمعونه غير مهموز مما أصله الهمز على ما ينبغي أن يعتقد منه تخفيفًا قياسيًا وما يعتقد منه بدلًا سماعيًا ولا يفرقون بين القلب والابدال...»[1].

ودافع التأليف سبب آخر يورده ابن سيده في كتابه قائلًا: «ومبين قبل ذلك لم وضعته على غير التجنيس بأني لما وضعت كتابي الموسوم بالمحكم مجنسًا لأدلّ الباحث على فطنة الكلمة المطلوبة أردت أن أعدل به كتابًا أضعه مبوبًا حين رأيت ذلك أجدى على الفصيح المدره والبليغ المفوّه والخطيب المصقع والشاعر المجيد الموقع، فإنه إذا كان للمسمى أسماء كثيرة وللموصوف أوصاف عديدة انتقى الخطيب والشاعر منها ما شاءا واتسعا فيما يحتاجان إليه من سجع أو قافية على مثال ما نجده نحن في الجواهر المحسوسة»[2].

هذا ما رأيناه الدافع الأساسي لتأليف المعجم. غير أن الأمور لا تقف عند هذا الحد وانما تتجاوز إلى التعليم والإرشاد. «هداني سواء السبيل إلى علم كيفية التأليف وأراني كيف توضع قوانين

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه/ ١٠.